مجلة الرائد

العدد : ١٨٧ الموافق في شوال ١٤١٧ هجري ٣ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : حرب شعواء على السودان	بقلم : هيثم مسعود

لقد قامت قوات المعارضة السوادنية المسلحة في الأيام الماضية بشنّ هجوم على شرق السودان انطلاقاً من الأراضي الأثيوبية والأرتيرية ، وأحرزت تقدماً ملحوظاً باتجاه العاصمة الخرطوم. ولكي نفهم مدلولات ومغزى هذه الحرب على السودان عبر حدوده الشرقية ، فإن علينا أن نربطها بما دار ويدور حولها من أحداث ، سواء على المستوى الإقليمي أو على المستوى الدولي.

فرجل مثل " جون قرنق " وما يسمى بالجيش الشعبي الذي يقوده في المعارك الأخيرة ، كان وما يزال حليفاً استراتيجياً للإسرائيليين والأمريكان ، ويسير ضمن مخطط فصل جنوب السودان عن شماله ، واستئثار المسيحيين فيه ، وبالتالي التحكم في روافد نهر النيل الجنوبية.

ويلتقي هذا مع مخطط تهديد السودان ومصر على حد سواء في ماء الشرب الذي يستمدانه من النيل ، وذلك من خلال السيطرة الصهيونية والأمريكية على منابع النيل الجنوبية ، والتي يشترك فيها جنوب السودان مع أثيوبيا ورواندا وبوروندي ومنطقة البحيرات الكبرى.

ولا يفوت المرء في هذا الصدد أن يذكر النفوذ الأمريكي الذي قد استقر في روندا وبوروندي على حساب النفوذ الفرنسي من خلال قبائل التوتسي والتي قامت بدورها ، وكقربان طاعة ، بإلغاء مظاهر الفرنكفونية التي دافعت عنها قبائل الهوتو ، وفرض اللغة الإنجليزية كلغة رسمية وثقافيّة بدلاً من الفرنسية في البلاد ، إضافة لوجود بصمات الموساد الواضحة على أحداث تلك المنطقة.

وعلى صعيد آخر فقد بدت السياسة المصرية في الفترة الماضية مترددة في دعم المعارضة السوادانية ، على الرغم من أزمتها مع حكومة الخرطوم ، وذلك لسببين ، أولهما وأهمهما : رفضها لمبدأ « حق تقرير المصير لشعب جنوب السودان » كما ورد في اتفاق الميرغني وقرنق والذي يعني احتمال انفصال الجنوب السوداني وتهديد منابع النيل. أما السبب الثاني فهو : انتقاد السياسة المصرية لأريتريا التي تحتضن المعارضة السودانية ، والتي تسعى إلى الإبقاء على احتلال جزر « حنيش » اليمنية والواقعة على مدخل البحر الأحمر ، واحتمال تأجير أريتريا إياها للدولة اليهودية ، لكي تراقب بدورها ملاحة البحر الأحمر.

لقد أدى تأييد مصر لليمن في أزمة الجزر هذه إلى توتر العلاقات مع أريتريا ، كما أدى تأييد أثيوبيا لتقسيم السودان إلى توتر مماثل بين مصر وأثيوبيا.

ولعل موقف الصادق المهدي زعيم حزب الأمة المعارض ، والذي فر من الخرطوم مؤخراً ، قد يقترب من الموقف المصري ، إذا ما أدرك عظم التحديات والمخاطر التي تهدد أمن وادي النيل والمنطقة بأسرها.

وإكمالاً للصورة فإن تفكك الصومال ، وإعلان جمهورية أرض الصومال الشمالية استقلالها وتوطيد علاقاتها بالكيان الصهيوني ، يشكل حلقة في سلسلة البرامج والسياسات الصهيونية في المنطقة ، وللتدليل على هذا الأمر نسوق مقاطع من رسالة رئيس هذه الجمهورية محمد إبراهيم عقال إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحاق رابين حيث كتب فيها قائلاً : « إن حكومتي لتعتقد اعتقاداً جازماً أنه طبقاً لأهمية هذه المنطقة الاستراتيجية والسياسية ، نتيجة لقربها المكاني من مصادر البترول ومدخل باب المندب... فإنه سيكون هناك ضرر بالغ لو أن مثل هذا الإقليم الاستراتيجي وقع بالكامل تحت سيطرة وهيمنة دول أصولية... وعلى الرغم من أن نسبة عدد المسلمين في جمهورية أرض الصومال يبلغ ٩٨% إلا أنهم ينفرون من تبني الشريعة الإسلامية " البائدة " ، ...وعلى كل حال فنحن منكم كالقزم أمام العملاق ، ولذلك فإن حكومتي تحتاج إلى مساندة ودعم دولة إسرائيل ».

هذا ولعل ما تم ذكره يفسر لنا إصرار الإدارة الأمريكية على رصد مبلغ مئة مليون دولار ، وكأولى قراراتها في الإدارة الجديدة ، وذلك لمحاربة التجربة الإسلامية الرائدة في السودان وإفشالها وإسقاط القلعة الرافضة للسير في خط التطبيع والتسوية مع العدو الصهيوني منذ البداية...

إن ما يجري اليوم من حرب على أرض السودان يعني تهديداً للتجربة الإسلامية ليس فيه فحسب وإنما في العالم ، لأن نجاح التجربة هو نجاح للمشروع الإسلامي العالمي ، وفشلها هو فشل لهذا المشروع بشكل أو بآخر. وما يجري يعني كذلك : زرع خنجر متواطئ مع الصهاينة والأمريكان في ظهر مصر العربية والأمة بأسرها ، إذا ما استمر العدوان على السودان ، ويحمل في طياته أيضاً فتح الأبواب على مصراعيها للتطبيع بين اليهود وبين بلد عربي غني بثرواته ومقدراته الكامنة ، والتمكين للصهاينة للتحكم في أرضه وخيراته الوفيرة ، إذا ما سقط لا قدر الله.

فهلا طوت مصر الشقيقة الكبرى ، والسودان وسائر البلاد العربية ، خلافات الماضي ، وهلا غلّبوا مصلحة الأمة والأوطان ، وفتحوا صفحة جديدة من العلاقات والتضامن والتلاحم ، قبل أن تغرق السفينة بالجميع ، وترتمي المنطقة بأسرها على أعتاب المشاريع الصهيونية والأمريكية ، وساعتها لن ينفع الندم ، ولا ترديد عبارة « أكلت يومَ أكل الثورُ الأبيض ».